ديار الكتب العربية ومشاكلها

بقلم عثمان الكعاك

١ ــ تاريخ ديار الكتب عند العرب

لا شك ان العرب اقدم الامم الى تأسيس ديار الكتب. وقد اثبت التاريخ ان اقدم مكتبة هي مكتبة « سنحاريب » وان من اقدم المكاتب دار الكتب بقرطاجنة التي أسست على جبال بودسة في القرن السادس قبل الميلاد بين معبد اشمون ومعبد تانيت ، وكانت مملوءة بالكتب المختلفة اللغات والمواضيع الطريفة .

انظر : دائرة المعارف الايطالية : مادة : Bibliotheca

واعتنى العرب منذ ظهور الاسلام بالمكتبات في المستويات الاتية :

أ) الصعيد الخلافي : ففي دار الخلافة مكتبة جامعة تسمى غالبا « دار العلم » .

(انظر : القلقشندي : صبح الاعشى) .

ميتز : الحضارة

قنزالش بالنسبة : تاريخ العرب بالاندلس

بالاثيوس : الاسلام والغرب

ب ــ الصعيد المسجدي : ففي كل مسجد مكتبة صغرت ام كبرت باعتبار ان الجامع مدرسة وانه محل قراءة القران الكريم والحديث الشريف وكتب الدين والوعظ .

ج) في المستوى الرباطي : ففي كل رباط مكتبة . « وهي الف رباط » .

انظر : البكري : المسالك والممالك . والدراسة الممتعة عن الاربطة في : Homenaje a Francesco Codera

و : ع.ك : معاهد التعليم . نشر معهد الدراسات بالجامعة العربية .

د) بيت الحكمة : هذه مؤسسة خاصة بالعرب . وهي : ١ ــ مكتبة جامعة التصانيف العربية ولغات الثقافة الاجنبية . ٢ ــ معهد للترجمة عن تلك اللغات . ٣ ــ معهد لتعليم العلوم الدخيلة ــ ٤ ــ مستقر للباحثين والمؤلفين ، واشهرها : أ ــ بيت الحكمة ببغداد . ب ــ بيت الحكمة بالقيروان . انظر : نشرة القيروان : ع.ك. بيت الحكمة ، الصلة لابن الابار ترجمة ابراهيم الشيباني .

٢ ــ ما ادخله العرب من تحسين على المكتبات :

أ ــ تأسيس المكاتب الكبرى : كانت المكاتب عند الرومان « طاقات theka » وهي « ثقوب في الجدار توضع فيها الدروج . ومن هنا جاءت كلمة Biblio - theka من بيبليوس » اليونانية بمعنى كتاب . وهي في الاصل « لحاء » الشجرة ، مثل Liber اللاتينية . وهي اللحاء ايضا ومن مادة theka طاقة اليونانية بمعنى « الثقب » في الجدار توضع فيه الامتعة ومن جملتها الكتب .

اما العرب فقداسسوا المكاتب الكبرى وجعلوا لها الخزائن الخشبية المطعمة بالعاج والصدف ــ بقايا بيت الحكمة بمقصورة القيروان ــ

ب ــ نشر الكاغد (carta - paper - papier)

فقد جلبه هارون الرشيد من الصين . ونشره ببغداد ، فانتقل الى القيروان في اواخر القرن الثاني ، وصنع بالمنازل والمعامل وتحول الى الاندلس ــ مدينة شاطبة ــ وبين وجوده بالقيروان ووجوده بفرانسا بمدينة اسون Esson خمسة قرون . « المعز بن باديس : عمدة الكتاب وما كتبه عنه Blum من دراسة ، وايضا بالاثيوس : الاسلام والغرب . ومادة carta بدائرة المعارف الايطالية ، و Le Livre : Sven Dahl » والكاغد اعظم اختراع لنشر الثقافة في مراحل التعليم اذ هو رخيص الثمن سهل الصناعة في المستوى العائلي : فيمكن من ادخال « الواجبات » الكتابية .

د) تأليف فهارس التصانيف وبيان مؤلفيها وهو علم ابتدعه العرب وسماه الاوروبيون Bio - bibliographie

ومن اهم المؤلفين في ذلك : ابن النديم في فهرسته ، ومصطفى جلبي الحاج خليفه في كشف الظنون ، وطاشكبري زاده في كنز السعادة . « انظر : فؤاد سيد : فهارس الكتب عند العرب « لا اذكر العنوان بالضبط » .

هـ) فهرسة الكتاب وجدولة مواضيعه و « ترقيم صحائف الكتب : ا » بالتعقيب réclame او adresse وهي وضع الكلمة الاولى من الصحيفة التالية في اسفل الصحيفة السابقة : د » التوريق pagination وهو ترقيم كل ورقة شفعا او وترا .

٣ ــ مشاكل المكاتب الوطنية العربية

مشاكل ديار الكتب: أ ــ خاصة، ب ــ عامة شاملة لديار الكتب الوطنية العربية . ونحن لانطرق الا هذا القسم الثاني . واهم مشاكله الاتية :

أ) الايداع الشرعي او القانوني : Dépôt légal

ومعناه اصدار قانون رسمي يجبر كل ناشر على ايداع نسخة من المنشور بدار الكتب الوطنية التابعة لوطنه حتى يكون جميع الانتاج الوطني مستودعا في دار الكتب وتكون النسخة تنبيها لمدير الدار على ظهور هذا المطبوع الجديد . فيشتري منه ماشاء من النسخ حسب الحاجة الداعية.

والمشكلة في هذا الموضوع ذات شعبتين :

الشعبة الاولى : ان الايداع الشرعي غير معمم على كافة البلاد العربية ، والشعبة الثانية : انه مقصور على النطاق الوطني فصار بذلك محدودا . فمن الخير ان تصدر كافة الحكومات العربية مراسيم باحداث الايداع الشرعي ، ومن الخير ان يكون هذا الايداع شاملا لكافة بلاد العروبة،

اي يتحول من النطاق الوطني الى النطاق العروبي interarabe وهذه احسن طريقة لاشهار مايصدر من الكتب وهي تفيد الناشرين اكثر مما تفيد دار الكتب . وهي احسن دعاية لمنشورات تنبه القراء الى ظهور هذه التآليف وترشد تجار الكتب الى وجودها .

في طرق التعليم العربي : سهولة ايجاده مكنت المؤلفين من التاليف اكثر فاكثر . ومكنت النساخين من نشر الكتب حتى الى رقم الف نسخة . وسهلت على الوراقين تنظيم المكتبات الخاصة لمحبي الكتب bibliophiles والمفتونين بالكتب bibliomanes

التحول من الدرج الى الكتاب المبسوط (المفلطح) لم يكن للاقدمين الا الدرج Roller, Rouleau فاستحدث العرب الكتاب المبسوط (المفلطح le livre plat وحملهم ذلك على اختراع التجليد la reliure

واقدم كتاب عربي في التجليد يرجع الى القرن الرابع الفه المعز بن باديس الصنبهاجي وعنوانه : عمدة الكتاب (مخطوط دار الكتب الوطنية التونسية ودراستنا عليه بمجلة المباحث وما كتبه عنه Blum

ب ـ انشاء دار الكتب الوطنية

لاتوجد دار الكتب الوطنية في كل بلد عربي . ومن الضروري ايجادها . والاقطار التي بها دار كتب وطنية هي : مراكش ، الجزائر ، تونس ، ليبيا ، مصر ، لبنان ، سوريا ، العراق ، ونواة دار كتب بالاردن .

ج) احصاء الكتاب العربي ، لقد احصى الاوروبيون الكتاب اللاتيني في فهرست يسمى corpus librorum ladinorum (ديوان الكتاب اللاطيني) ذكروا فيه جميع ماوصل اليه علمهم من كتب لاتينية موجودة او مفقودة مطبوعة او مخطوطة مرتبة حسب ابجدية عناوينها وموصوفة وصفا مدققا بقدر الامكان . ووضعوا corpus librorum graecorum (ديوان الكتاب اليوناني) . واعتنى اجدادنا بشيء من ذلك (ابن النديم في القرن الرابع ، والحاج خليفة في القرن الحادي عشر) وبقي علينا ان نؤلف « ديوان الكتاب العربي corpus librornm araborum

وهذا عمل ١) الدول العربية ، ٢) الدول الاسلامية ، ٣) المستشرقين ، ٤) الدول التي لها مخطوطات عربية في مكتباتها ،) الخاصة من الناس الذين يملكون مخطوطات منفردة (يتيمة unica او نادرة جدا rarissime او نادرة rare او نفيسة précieux فتطبع جذاذات خاصة فيها مادة : عنوان ، ومؤلف ، و « اوله incipit » واسم الناسخ وتاريخ النسخ ، ووصف المخطوط ، ومكان وجوده ، ومحل طباعته ، وبيان المصدر الذي تحدث عنه . ثم تجرد الفهارس « ابن النديم وابن خير والحاج وملحقاته وسركيس وبروكلمان ـ وقد قمنا بهذا العمل في دار الكتب التونسية » . وتكون هنالك مكتبة « استيداعية تجميعية » يقع الاتفاق عليها ترسل اليها الجذاذات من كل قطر فيصنفها في صناديقها حسب حروفها .

د ـ البيبليوغرافيا الوطنية ـ لابد من وضع البيبليوغرافيا الوطنية المستوعبة اي الشاملة بدون استثناء لكل ما كتب عن اي موضوع وطني أي ان يكون كتابا او رسالة او مقالا في مجلة او صحيفة ، وبقطع النظر عن اللغة ، بل يكون مستوعبا لعامة اللغات التي عالجت المواضيع الوطنية ، ويصنف ذلك تصنيفا حسب المواضيع وفق الترتيب الابجدي ففي حرف الالف : « آثار ـ ادب ـ احصاء ـ الخ . » وفي حرف الميم «موسيقى » وفي حرف التاء « تاريخ ـ تراجم ـ تعليم ـ الخ .. » وتتبادل دار الكتب « المصادر الوطنية» لكل قطر فننتقل من المصادر « الوطنية » الى المصادر « العروبية » interarabe

هـ) تعريب المصادر ـ طالما كان قطر عربي تحت سيطرة الاجنبي طالما كانت مصادره بلغة الاجنبي . فالجيولوجيا والنبات والحيوان والزراعة والتجارة والآثار والحيوانات البائدة والانواء التونسية باللغة الفرنسية ومثل ذلك بالاضافة الى الجزائر والمغرب وسوريا ولبنان، ومصادر ليبيا بالايطالية ومصادر المغرب الشمالي بالاسبانية ومصادر مصر والاردن والعراق بالانكليزية . ونحن نتمتع باستقلال سياسي واقتصادي ، واداري ولا نتمتع باستقلال مصدري أي ان علومنا الباحثة عنا ليست بلغتنا ناهيك ان اعظم كتاب في الادب العربي ليس بالعربي وانما هو بالالمانية واعني به بروكلمان .

ونحن نجد انفسنا في نفس الظرف الذي كان عليه الامويون والعباسيون أي انهم كانوا على راس خلافة وامبراطورية ولكن العلوم كانت بايدي الاعاجم فترجموها وسرعان ما صارت العلوم بايدي العرب . فعلينا ان نترجم مصادر البحث عنا بعد ان نجمعها ونصنفها ونعطيها ارقامها قيمية . وبذلك نستقل « مصدريا » .

و) ـ علوم المكتبات ـ العلوم المتعلقة بالمكتبات هي الاتية :

١) علم تدبير المكتبات Bibliothéconomie وهو علم يتعلق بتنظيم المكتبات من حيث المحل والتنظيف والتقوية والتهوية وضبط ساعات المطالعة وتصنيف الكتب واقتناؤها وقد الف فيه او ترجم عنه بالعربية كثير فليست هنالك مشكلة .

٢) علم البيبليوغرافيا وهو : ا) بيبليوغرافيا وطنية ـ وقد تحدثنا عنها .

ب) البيبليوغرافيا ـ عامة مع اصول البيبليوغرافيا وهذا غير موجود بالعربية ، فيحتاج الى ان نترجم كتاب الانسة ملكليس Mlle Molclès في اصول البيبليوغرافيا وكتابها الاخر الضخم في مواد البيبليوغرافيا مع اضافة البيبليوغرافيا العربية اليه . واذا لم يكن ذلك فليس هنالك بحث دسم وسليم ، ويفنى الوقت في طلب المصادر وهي مع ذلك موجودة ، فيصير عملنا كمن يفني وقته في نسخ مخطوط قد طبع وهو موجود في الاسواق .

ج ـ الخطاطة paléographie

وهي علم نعرف به : ا) النقد الخارجي للمخطوط اي : ١) المادة المكتوب عليها (بردي ـ رق ـ كاغد) ٢) المادة المكتوب منها (حبر ـ تد ـ طلاء ـ ليقة ـ ذهب ـ اصباغ ملونة) ، ٣) المادة المكتوب بها (قلم ـ قصب وما يتعلق به من بري وقط ، ازميل حديد ـ مسطرة ـ) ٤) انواع الخط : اولا : الكوفي (مغربي ، شرقي) ، ثانيا النسخي (مغربي ، مشرقي) ، ٤) نوع الكتاب ، اولا مخطوط ، ثانيا:

مهادي incunable وهو الذي طبع في السنوات الخمسين الاولى من ظهور الطباعة في كل بلد بحسبه ، ثالثا : حجري lithographe رابعا ـ مطبوع بالاحرف المعدنيـــة المتنقلة (انظر : المشرق تاريخ الطباعة العربية : Demeerseman — L,impr. chez les arabes .

خامسا ـ الزخرف الخارجي (تزويق، تنميق ، تذهيب ، اطار ، عناوين ، اختام ، وقفيات الخ..)

ب) النقد الداخلي critique interne

او تقويم النصوص la critique verbale

وهو قواعد نستطيع بها ان نخرج نصا اقرب مايكون من نص المؤلف . ويسمى ـ بوجه عام ـ التحقيق او الطبعة النقدية . وقد كتب فيه : عبد السلام هارون ، صلاح الدين المنجد ، Blachère واحسن من كتب فيه بالفرنسية : Collomb - la cririque interne

والمعلوم في هذا الامر هو النقط الاتية : اولا : ضبط عائلة الخطوط وتصنيفها واخراج ابجديات تحليلية (وهو مافعلته مجلة ars islamica بالاضافة الى بعض الخطوط الكوفية ، او Levi - Provençal في Epigrapie arabe d'Espagne ولمعرفة انواع الخطوط العربية يراجع : Faulman : geschichte der Schrift

طاهر الحجازي : الخط العربي ، الاب لويس شيخو : معرض الخطوط العربية ، صبح الاعشى : باب الخطوط ، دائرة المعارف الاسلامية : مادة arabe الطبعة الجديدة المنقحة ، كتاب ابن مقلة في الخط (دراسة محمد التركي التونسي بمؤتمر المستشرقين بليدن ومخطوط دار الكتب الوطنية التونسية ، رسالة ابن البواب في الخط ، رسالة اخرجها الدكتور صلاح الدين المنجد في انواع الخطوط العربية ، Moritz

Marçais : Manuel d'Art musulman , Arabic Paleography

ثانيا : ضبط اصول الخطاطة العربية واصدار كتاب جامع فيها واحداث مدرسة لها في المستوى العروبي . (انظر عن الخطاطة العربية : ع.ك.ت الوساطة في الخطاطة: مجلة المباحث التونسية ، وفعلة منها على حدة .)

وهنالك مشكلة اخرى ، وهي مشكلة العلوم palempsestes انظر دائرة المعارف الايطالية مادة palinisesti ومجلة الكتاب المصرية).والطلس هو ورقة بردي او رق او كاغد تمحى ويكتب عليها ثانية، وذلك لان المواد التي يكتب عليها كانت غالية الثمن . ويمكن ان تمحى مرات خمسا وان تكتب عليها نصوص خمس الواحد فوق الاخر ، والعباسيون طلسوا كتب التاريخ والوثائق الاموية . والفاطميون طلسوا كتب العباسيين . والايوبيون طلسوا كتب الفاطميين . وطلست كتب اليونان والرومان باوروبا ، ثم طلس الافرنج كتب الاندلس وصقلية.

ويظهر من هذا ان المطاليس العربية كثيرة وان مانحسبه قد ضاع من الكتب يجوز انه لم يقع . وقد استخرج الاوروبيون الكتب اليونانية والرومانية المطلوسة فعثروا على خير كثير وبعثوا كتبا لم يكونوا يحلمون بوجودها . واحياء المطاليس يكون بارسال اشعة ماتحت الاحمر عليها infra - red - infra - rouge ولذلك وجب ان نؤلف لجانا من الباحثين عن المطاليس ومن الباعثين لها بواسطة ماتحت الاحمر .

يظهر لي ان هذه هي المشاكل العامة التي تعترض ديار الكتب الوطنية . ونرجو بعد هذا ان تؤسس الجمعية العامة لمدراء ديار الكتب الوطنية العربية . وان تعقد المؤتمرات بين الاخصاء في المكتبات لمدارسة هذه المواضيع او غيرها مما حدث ويحدث .

عثمان الكعاك

صدر حديثا :

الحضارة العربية الجديدة
وحتمية الثورة

تاليف

أنور قصيباتي

* ان حضارة جديدة تلوح في الآفاق البعيدة ، وان العرب هم الذين سيبدعون هذه الحضارة .
* ان الثورة هي الطريق الوحيد لاقامة هذه الحضارة،ولن تتحقق الا بالتدخل الارادي

الثمن ٢٠٠ ق.ل ـ ٢٥٠ ق.س

منشورات دار الاداب